مقتطفات من كتاب

عالم السدود والقيود

عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

هذا الكتاب



هـذه الصفحات هي خلاصة ما رأيته وأحسسته وفكرت فيـه يوم كنت انزل « عالم السدود والحدود » واشعر بـه ذلك الشعور ، وانظر الى العالم من ورائه ذلك النظر . لست اعنى بها ان تكون قصة وان كانت تشبه القصة في سرد حوادث ووصف شخوص ، ولست اعني بها ان تكون بحثاً في الاصلاح الاجتماعي وان جاءت فيها اشارات لما عرض لي من وجوه ذلك الاصلاح ، ولست اعني بها ان تكون رحلة وان كانت كالرحـلة في كل شيء إلا أنها مشاهدات في مكان واحد ، ولا أن أستقصي كل ما رأيت وأحسست وان كنت أقول بعد هذا ان الاستقصاء لا يزيد القارىء شعوراً بما هناك .

العقاد

ولست اعني بها ان تكون بحثا في الاصلاح الاجتماعي وان جاءت فيها أشارات لما عرض لي من وجوه ذلك الاصلاح ولست اعني بها ان تكون رحلة وان كانت كالرحلة في كل شيء الاانها مشاهدات في مكان واحد ، ولا ان استقصي كل ما رايت واحسست وان كنت اقول بعد هذا ان الاستقصاء لا يزيد القارىء شعورا بما هناك ، وانه لا فرق بينه وبين الخلاصة الا في التفصيل والتكرير ، وانما دعوى هذه الصفحات ـ بل خير دعواها ـ انها تتكفل للقارىء بان يستعرض عالم السجن كما استعرضته دون ان يقيم هناك تسعة شهور كما اقمت فيه(١) .

فان كانت الصفحات التالية عند دعواها فذاك وحده هو حقها من القراءة وشفاعتها عند القراء ، وهي اذن قد اختصرت تسعة شهور طوالا في مدى ساعات معدودات يطويها القارىء بين دفتي هذا الكتاب الصغير وهو يتفكه ولا يضيق ذرعا بالسدود والقيود ، وحسبها ذلك من نجاح .

عالم السدود والقيود الآن ـ عندي وعند كل عابر بسبيله ـ هو ذلك البناء المعزول في ناحية منزوية الى طرف من الأطراف في بعض أحياء القاهرة الواسعة الكثيرة ، كأنه يحس نفرة الناس منه ونفرته من الناس ، واسمه في سجلات الحكومة سجن مصر العمومي ، واسمه الشائع على الالسنة « قره ميدان » .

أما يوم كنت آوي اليه ولا ارى غيره ولا اسمع بالدنيا الا من وراء جدرانه فلم يكن بناء معزولا ولا كانت الناحية التي هو فيها ناحية منزوية الى طرف من الأطراف ، ولكنه كان هو العالم بأسره وبأرضه وسمائه ، وكان العالم الخارجي جزءا لاحقا به مضافا اليه ، وتلك شيمة في النفس الانسانية ان تنقل مركز الكون كله الى حيث تكون ، فالسجن وان كان عند السجناء منزلا بغيضا يصبحون ويمسون على امل الخلاص منه وكراهة الاستقرار فيه ، هو مع ذلك محور العالم ما داموا بين جدرانه ، وهو شط والدنيا كلها شط آخر يتقابلان ويتناظران ، فلو ظهرت في السجن صحيفة كبيرة لكان لأخباره فيها مكان « الحوادث المحلية » الظاهر في صدور الصحف السيارة ، ولكانت اخبار العالم فيه كأخبار الحوادث الخارجية ورسائل الأقاليم ومنقولات البرق والبريد . واذا ارتقى بعضها الى محل الرعاية والتنويه فانما يرتقي اليه بالاضافة الى سجين من السجناء أو حادث يدور حول عقره وحجراته وخباياه .

وهذه الصفحات هي خلاصة ما رايته واحسسته وفكرت فيه يوم كنت انزل « عالم السدود والقيود » واشعر به ذلك الشعور،وأنظر الى العالم من ورائه ذلك النظر : لست اعني بها ان تكون قصة وان كانت تشبه القصة في سرد حوادث ووصف شخوص ، ولست اعني بها ان تكون بحثا في الاصلاح الاجتماعي وان جاءت فيها اشارات لما عرض لي من وجوه ذلك الاصلاح ،

فتحت الكوة الصغيرة ، ثم فتح باب الرتاج الكبير ، ثم احتوانا البناء المخفور الذي يعرف في مصلحة السجون باسم«سجن مصر العمومي» ويعرف على ألسنة الناس باسم « قره ميدان » أي الميدان الأسود باللغة التركية !

وخطر لي ـ وأنا أخطو الخطوة الأولى في أرض السجن ـ قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة :

دخولي باليقين بلا امتراء وكل الشك في أمر الخروج

فهو تقرير فلسفي صحيح للواقع !..

أما الدخول فها هو ذا يقين لا شك فيه ، وأما الشك كل الشك فهو في أمر الخروج متى يكون والى أين يكون ؟ ألى رجعة قريبة ، من السجن واليه ؟ أم الى عالم الحياة مرة أخرى ؟ أم الى عالم الأموات ؟

في تلك اللحظة عاهدت نفسي لئن خرجت الى عالم الحياة لتكونن زيارتي الأولى الى عالم الأموات ، أو الى ساحة الخلد كما سميتها بعد ذلك ـ أي ضريح سعد زغلول .

على أنني لم ألبث أن عرفت أن للكتاب في السجن فائدة غير فائدة القراءة ، وربما كانت فائدته الاخرى هي المقصودة في كثير من الاحيان عند كثير من المسجونين ، ولا سيما المصاحف وكتب الدين على اختلاف الاديان .

أما هذه الفائدة الاخرى فهي الاستخارة ! وهي أن يفتح القارىء الكتاب على الصفحة اليمنى ثم يعد سبعة أسطر ويقرأ ما يصادفه في السطر السابع ، فاذا هو المصير الذي ينتظره و « القرعة » التي تصيبه بغير تدبير ولا مجاملة ولا مداراة . فاذا كان الكتاب مصحفا أو سفرا دينيا كائنا ما كان فذاك اذن أشبه بالوحي السماوي وصوت النذير من عند الله .

لم يكن مكتب الموظفين الا بمثابة « الاعراف » التي تفصل بين نعيم الحرية وجحيم الاعتقال . ولكنها « أعراف » تنقل من النعيم الى الجحيم كما تنقل من الجحيم الى النعيم . وقد كانت في اليوم الذي سجلت فيه اسمي بين الداخلين تسجل أسماء شتى للخروج أو للافراج كما يسمونه في لغة السجون !

كان باب الحجرة عندي مفتوحا للتنظيف في صباح يوم ، فجاءني زميلي ودليلي وجاري السيد علي شاهين يحمل مصحفه ويعلمني هذه الفائدة الجديدة من فوائد الكتب بين جدران السجون ، ومن المصادفات المدهشة أنه أخذ في الاستخارة لنفسه وانفتحت له احدى الصفحات اليمنى من سورة يوسف فقرأ في السطر السابع : « ... سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني »

فانتفض صاحبنا كأنما سمع الحكم بالسجن يتلى عليه ! وحق له أن ينتفض لأن المصادفة في الحقيقة كانت من المدهشات التي قلما تتفق في هذه الاستخارات ، اذ ليس في المصحف كله آية تناسب استخارة السجين الذي سيحكم عليه كما تناسبها هذه الآية . ولكن ما أعمق معين المغالطة في نفس الانسان كلما احتاج الى الرجاء والعزاء ! . فان صاحبنا لم يقف عند السطر السابع بل زعم أن أصول الاستخارة تقضي بمتابعة المعنى الى تمامه ، وجعل يقرأ ويقرأ حتى وصل في ختام الصفحة التالية الى الآية التي تقول : « فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم »

فاذا فرغت من القراءة الساعة العاشرة أو الحادية عشرة أو الثانية عشرة فسبيلي أن أقرع الباب السميك أستدعي الحارس ليتولى هو بيديه « شعائر اطفاء النور » . فاذا كان قريبا متيقظا في تلك الساعة فالخطب هين ، والدعوة لا تطول الا ريثما تجاب . أما اذا ابتعد أو نام فالحل الوحيد في حكم النظام هو ازعاج السجناء الذين معي في الدور جميعا لادارة المفتاح الصغير ، فان لم يكن هذا فمبيتي سهران الى الصباح لأن أعصاب عيني لا تألف الغمض في الضياء .

الالفة شرط المعرفة •

ولا تصدق هـذه القاعدة على شيء كما تصدق على أخلاق الناس واستطلاع أسرار الانسانية التـي لا تنكشف ــ وليس في الوسـع أن تنكشف ــ من اللقاء الاول •

فنحن لا نعرف شعبا من الشعوب ولا فردا من الافراد حق عرفانه حتى نقاربه ونعاشره ، ونزيل ما بيننا وبينه من حجاب الغرابة الذي يمنعنا أن ننفذ الى قرارة نفسه وتتغلغل الى بواعث أعماله ومناشيء احساسه ، وما يراه هو طبيعيا عاديا في نظره ويراه الآخرون في أنظارهم غريبا أشد الغرابة بعيدا أشد البعد من العادات المألوفة •

لكن الصعوبة في الامر أن الغرابة مانعة للمعرفة من جهة ولازمة لها من الجهة الاخرى •

مانعة للمعرفة لأنها تحجب عنا الاسرار التي تنطوي وراء الظواهر ولا تنكشف الا بانكشاف الاستار والحواجز •

ولازمة للمعرفة لأن المعرفة هي التمييز والفصل بين الحدود ، وكيف ترانا نميز انسانا من انسان ، اذا نحن لم نشعر بوجود الاختلاف والغرابة بينه وبين غيره ؟ أو نعتقد أنه مخلوق غـير الخلائق الاخرى في دخيلته وظاهر أمره ؟

لهـذا كانت المعرفة الحقيقية أصعب الاشياء وأدعاها الـى اليقظة والانتباه ، لأنها تفرض على النفس أن تجمع بين النقيضين في وقت واحد ،

الوقت أعدى أعداء السجين ، فلو اهتدى الى طريقة يخلص بها من وقته لاهتدى الى طريقة يخلص بها من سجنه •

الوقت في كل مكان من ذهب كما يقولون • الا في السجن وما شابه السجن ، فهو من رصاص ان أردت ثقلته وبشاعة اسمه ، وهو من تراب ان أردت رخصه ومضايقته ، والرغبة في كنسه !

الوقت أثقل شيء على « وجدان » السجين وأخف شيء على لسانه : كل دقيقة فيه محسوسة محسوبة ، وكل دقيقة فيه حسبة يراد اسقاطها من الحساب ، وما هكذا يكون الوقت في غير السجون •

وتيسرت لي القراءة طرفا من الليل بعد دخول النور في الحجرة فكنت أقرأ حتى أمل الصفحات فألهو بمراقبة النمل على الجدران ويطيب لي هذا النوع من اللهو لأنني أستأنف به أياما من الطفولة كنت أقضيها في هذه المراقبة • وأكاد أصدق يومئذ أنني أعالج ضربا من الطلاسم التي كان يعرفها سليمان عليه السلام •

وذلك أن تلميذا من أصحابنا في المدرسة كان يقول لنا انه يحفظ قسما يتلوه على النمل ويرسم له خطا فلا يتعداه ، ومن عصى القسم وحاول تعديه سقط وحلت به لعنة سليمان •

واحتلنا على صاحبنا التلميذ حتى باح لنا بذلك القسم ، فاذا هو آيات يكررها القائل ثلاث مرات وهو متوضيء فتحصل المعجزة • وقد رأيناه فعلا يحز للنمل خطا على الحائط ويتلو القسم فيرجع النمل عن الخط أو يسقط دونه ، وجربنا نحن القسم فصحت التجربة ، وأيقنا برهة

أننا نملك سرا من أسرار السحر المتصرف في خلق من خلائق الله ، حتى خطر لنا يوما أن نرسم الخط ولا تتلو القسم ، فما راعنا الا أن تصح التجربة بغير تلاوة كما صحت بالوضوء والتلاوة ، فعرفنا السر ولكننا أسفنا على السحر الذي فقدناه !

والسجناء في سجون سيبريا وجزيرة الشيطان وأمثالها من سجـون أمريكا الشمالية والجنوبية يناموت على أسرة خشبية ، ولا ينامون عـلى الأرض كما ينام جميع السجناء المصريين ما عدا المرضى والمحكوم عليهم في المحاكم المختلطة . فلماذا يجبر السجين المصري علـى الرقـاد فـوق « البرش » والأسفلت وهو ولا شك فراش لا تحتمله بنية الهزيل المهدد بالأمراض ولا تؤمن غوائله في الشتاء ؟ ان الرقاد على لوح من الخشب ليس من الترف في شيء ، ولكنه أصح وآمن وأدنى الى الكرامة والتهذيب ، فما نحن بحاجة الى تعليم الفقراء المصريين فضيلة النوم على التراب !

هذه التحسينات كلها ميسورة لمصلحة السجون المصرية ، ولها أن تظل على يقين أنها تستطيع توفيرها جميعا ثم يبقى السجن بعد ذلك سجنا يخيف من يخاف ويهذب من يتهذب ؛ بل يبقى سجنا ومدرسة ومستشفى ! وهي الأماكن الثلاثة التي تعودنا أن نهرب منها ونحن صغار ونحن كبار !!

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاند رويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355